مجلة مجتمع تربية عمل

ISSN: 2507-749X EISSN: 2602-7755

https://www.asjp.cerist.dz/revues/414

المجلد:06/ العدد:01 (2021) ص ص10/22

علم الاجتماع والأنثروبولوجيا: من مبررات التمايز إلى ضرورة التقارب

Sociology and anthropology:From the justifications of differentiation to necessity of convergence

دحماني سليمان

جامعة مولود معمري تيزي وزو(الجزائر)

elostadanthropo@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:2021/04/26

تاريخ القبول:2021/05/26

الكلمات المفتاحية:

- ✓ علم الاجتماع
- ✓ الأنثروبولوجيا
- ✓ الاتجاه السوسيو-أنثروبولوجي

الملخص:

سنحاول في هذه الورقة البحثية توضيح العلاقة التي تربط بين نظامين فكر بين متجاورين ومتشابهين هما: علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وهذا منذ نشأتهما في أوروبا في القرن التاسع، ونبين كيف تطورت هذه العلاقة من مرحلة التمايز في مجال الدراسة، والمناهج المتبعة، في بداية ظهورهما، حيث تحول علم الاجتماع إلى دراسة المجتمعات الصناعية الحديثة ومشاكلها، واستخدام المناهج الكمية، بينما ركزت الأنثروبولوجيا على المجتمعات البدائية، واعتمدت على المناهج النوعية؛ إلى مرحلة التعاون والتداخل في القرن العشرين، حيث حدث نوع من التقارب بين العلمين، نتيجة مراجعة علم الاجتماع لمجاله ومناهجه، ونتيجة لمراجعة الأنثروبولوجيا لمجالها ومناهجها، وهذا مانبثق عنه اتجاه جديد يسمى السوسيو-أنثروبولوجي، حاول الجمع بين المقاربتين: السوسيولوجية والأنثروبولوجية.

Article info

Received :26/04/2021

Accepted :26/05/2021

Keywords:

- ✓ Sociology
- ✓ Anthropology
- ✓ Socio-anthropology

Abstract :

In this research paper we will try to clarify the relationship between two similar systems ofthought(Sociology and Anthropology) since their inception in the ninth century in Europe and to describe how this relationship evolved from a stage of differentiation to a stage of convergence with respect to the research process and the methods used inthe beginning of their emergence. This convergence occurred when sociology began to emphasize research on different modern and industrial societies and using quantitative methods while the focus of anthropology remained on primitive societiesand the use of qualitative methods.The relationship between the two systems of thought was strengthened later as a result of reviewing the field of study as well as the methodology used in both systems. From this convergence emerged a new trend called socio-anthropologywhich combined the sociological and anthropological approaches.

-مقدمة: بِدَايَةً نود الإشارة إلى ذلك الجدل القديم القائم بين مؤيدي الرأي القائل أن علم الاجتماع هو العلم العام الذي يدرس المجتمع، وتتفرع عنه باقي العلوم الاجتماعية الأخرى مثل الأنثروبولوجيا، وعلم النفس، وعلوم التربية، وعلم الاقتصاد، وعلم السياسة، وعلم السكان...إلخ؛ وأنصار الرأي الآخر الذي يرى أن هذه العلوم لا تخضع إلى علم الاجتماع، أي أنها مستقلة بذاتها من حيث مجال البحث والمنهج المستخدم.

أما عن علاقة علم الاجتماع بالأنثروبولوجيا بالذات، فذهب بعض العلماء إلى أن هذه الأخيرة –ونظرا إلى زوال المجتمعات البدائية– سوف تنصهر في علم الاجتماع، أو تصبح على الأقل فرعا من فروعه يختص بدراسة الثقافات المحلية البسيطة، لأن احتكاك الشعوب البدائية بغيرها من المجتمعات المتطورة واستعارتها لمنتجات الحضارة الغربية الحديثة، أدى إلى تغيرات نوعية في أنظمتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية مشككين بذلك في مدى بقاء مجتمعات بدائية في القرن العشرين ومشككين أيضا في جدوى الأنثروبولوجيا بصفتها العلم الذي طالما ارتبط بدراسة هذه المجتمعات تحديدا.

وكردة فعل على هذا الاتجاه يرى فريق آخر من العلماء أنه لا يمكن التخلي عن الأنثروبولوجيا لأنها تعتبر العلم الوحيد الذي يهتم بدراسة الإنسان بصورة شمولية، أي من الناحيتين: المادية (الفيزيقية–البيولوجية)، والمعنوية (الاجتماعية–الثقافية) وفي الحاضر كما في الماضي. كما أن الأنثروبولوجيا تعد المجال المعرفي الأقدر على فهم التغيرات النوعية الناتجة عن العولمة والإفراط في الحداثة ودعا هذا الفريق إلى مزيد من التقارب والتنسيق بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا في سبيل فهم أعمق للظواهر الاجتماعية والثقافية.

وبناء على ما سبق، سوف نحاول من خلال هذه المقالة تبيان الفروق الموجودة بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا من حيث مجالات البحث وموضوعات الدراسة، والمناهج المستخدمة، كما نسلط الضوء على مظاهر التقارب والتعاون بين العلمين التي ظهرت ملامحها منذ بداية القرن العشرين.

-تعريف علم الاجتماع والأنثروبولوجيا: من القضايا المتعارف عليها بين المهتمين بمجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، وجود نظامين فكريين متجاورين هما: علم الاجتماع (Sociology) والأنثروبولوجيا (Anthropology) ، ولا شك أنهما متمايزين من حيث

التصنيف، ولكنهما متشابهين نظرا إلى تداخل موضوعاتهما، علاوة على أن معظم علماء الأنثروبولوجيا هم في ذات الوقت علماء اجتماع.

وكمحاولة للتعريف، نستطيع القول أن عالم الاجتماع الفرنسي (Auguste COMTE) قام في عام 1830 م بصياغة مصطلح (Sociologie) ليَدُلَّ على الدراسة العلمية للمجتمعات البشرية، ويتألف هذا المصطلح من مقطعين: الأول (Socio) من أصل لاتيني ويعني مجتمع، والثاني (Logie) من أصل يوناني ويعني علم أو دراسة.

أما اصطلاحًا، فقد تباينت التعاريف المقدمة بشأن علم الاجتماع، ولعل أبرزها حسب محمود عودة، ما يلي (عودة، د.ت) :

-علم دراسة السلوك الإنساني؛

-علم دراسة التفاعل الإنساني المتبادل؛

-دراسة النظام الاجتماعي؛

-دراسة البناء الاجتماعي؛

-دراسة الأنماط الاجتماعية والظواهر الاجتماعية؛

-دراسة الاعتماد الإنساني المتبادل؛

-دراسة المجتمع الإنساني في استقراره وحركته.

ولا شك أن علم الاجتماع حاول أن يتميز عن الفلسفة الاجتماعية، أو الفكر الاجتماعي القديم، منذ ظهوره، وذلك بالابتعاد عن المثالية والذاتية والمعيارية والغائية.

ويمكن القول أن علم الاجتماع الحديث نشأ استجابة لدراسة المشكلات الاجتماعية التي أفرزتها تلك التطورات الفكرية والسياسية والاقتصادية التي كانت أوروبا مسرحا لها ابتداءً من القرن الثامن عشر:

-فعلى على الصعيد الفكري، شهدت أوروبا تطورا فكريا-فلسفيا، تمثل في انتصار فلسفة التنوير التي تسلح بها المجتمع البرجوازي الحديث في صراعه ضد الفكر اللاهوتي الكاثوليكي الذي كان يمثل إديولوجيا المجتمع الاقطاعي القديم.

-أما على الصعيد السياسي، فتجسد هذا التطور بخاصة في الثورة الفرنسية التي كانت موجهة بفلسفة التنوير، ولقد حاول المنتصرون وضع مقولاتها حيز التطبيق، فكانت بمثابة حرب على النظم الاجتماعية العتيقة.

-وأما على الصعيد الاقتصادي، فخبرت أوروبا انتقالا من النظام الزراعي الإقطاعي إلى النظام الصناعي الرأسمالي، ولقد أدى هذا الانتقال إلى ظهور المدينة الصناعية، وصاحب النمو الصناعي هجرة السكان بأعداد غفيرة إلى المدن الصناعية، وبالتالي ظهرت كثير من مشكلات كالازدحام السكاني، والبطالة، والفقر، والجريمة ... إلخ.

ويضطلع علم الاجتماع في المجتمع الحديث بعدة وظائف، أبرزها ما يلي: (ميتشيل، 1986).

-دراسة التركيب الاجتماعي؛

-دراسة العناصر والكتل الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع كالجماعات والطبقات؛

-القيام بالدراسات الوصفية لجمع المعلومات عن الحياة الاجتماعية؛

-دراسة حضارة وأسلوب حياة المجتمع؛

-إيجاد وفحص طرق البحث الإحصائية والنظرية التي تستعمل في دراسة المجتمع .

أما بخصوص مصطلح أنثروبولوجيا، فينقسم إلى مقطعين: (Anthropos) الذي يعني الإنسان و(Logos) الذي يعني علم أو دراسة. ويتبين عند جمع المقطعين أن المعنى اللفظي لمصطلح "أنثروبولوجيا" هو علم الإنسان أو الأَنَاسَة؛ هذا من الناحية اللغوية.

أما من الناحية الاصطلاحية فقد عَرَّفَ عاطف وصفي مجال الأنثروبولوجيا، قائلا: يهتم بالجنس البشري فيدرس أجسام أفراده ومجتمعاتهم ووسائل الاتصال فيما بينهم وكل ما ينتجونه سواء أكان مادة أو علاقة اجتماعية أو فكرة (وصفي، 1971).

وعرف مصطفى سليم شاكر الأنثروبولوجيا بصورة موجزة ودقيقة، في قاموسه قائلا: الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا (شاكر، 1981).

وبناء عليه، يمكن القول أنّ الأنثروبولوجيا هي العلم الذي يهتم بدراسة الإنسان من الناحية الجسمية، ويدرس سلوكه في إطار المجتمع بصورة عامة ولهذا السبب تمَّ تقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسة على النحو الآتي:

-الأنثروبولوجيا الطبيعية **(Physical anthropology):** وهي ذلك العلم الذي يدرس الجوانب الفيزيقية للإنسان فهي تدرس تركيبه الجسماني والتطورات التي مر بها إلى أن حصل على صورته الحالية، وكذلك تنوعه بيولوجيا وهي في ذلك تهتم بدراسة أسباب التنوع

واتجاهات التغير في كل من الأفراد والجماعات سواء في الماضي أم في الحاضر (حامد، 2011) ولذلك فهي أقرب إلى العلوم الطبيعية منها إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية.

-الأنثروبولوجيا الثقافية **(Cultural anthropology)**: ويختص هذا القسم بدراسة الثقافة التي عرفها تايلور(Edward Burnett TYLOR) على أنها: ذلك الكل المركب الذي يشتمل المعرفة والعقائد، والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع (محمد السويدي، 1991) أو بصورة عامة، هي أسلوب حياة مجتمع معين.

-الأنثروبولوجيا الاجتماعية (Social anthropology): ويمكن تعريفها على أنها دراسة مجموع البناء الاجتماعي لأي جماعة أو مجتمع، بما يحويه هذا البناء من علاقات وجماعات وتنظيمات(الجوهري، 2013) فهي إذن تهتم بدراسة القطاع الاجتماعي من الثقافة.

مجالات البحث ومواضيع الدراسة بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا:

إن المتتبع لتاريخ نشأة وتطور علم الاجتماع والأنثروبولوجيا يقف على حقيقة مفادها أن كلا العلمين ظهرا في أوروبا في القرن التاسع عشر، وفيما اتجه علم الاجتماع إلى دراسة المجتمعات الأوروبية الصناعية ومشكلاتها، اتجهت الأنثروبولوجيا نحو دراسة الآخر المتمثل في المجتمعات غير أوروبية، وركزت الأنثروبولوجيا بالذات على ما يسمى بالمجتمعات البدائية (PRIMITVE SOCIETIES) التي تتسم بأنها مجتمعات منعزلة ومتجانسة ومحدودة في عدد سكانها وبسيطة في نظمها الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية.

وهكذا نجد مثلا James GEORGE FRAZER يحدد مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية بقوله: أعتقد أنه من الأوفق أن نميز بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية فنطلق التسمية الأولى على دراسة المجتمعات الإنسانية بأوسع معاني الكلمة، ثم نقصر الأنثروبولوجيا الاجتماعية على قطاع خاص من هذا الحقل الفسيح الأرجاء، وعلى ذلك يكون مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية محصورا في دراسة الأشكال الأولية البسيطة للمجتمعات الإنسانية وفي المراحل البدائية من تطورها. فهي لا تشمل إذن دراسة المراحل الأكثر تطورا وتركيبا في نمو المجتمعات. ومن البديهي ألا يكون لها شأن مطلقا بالمشاكل العملية التي تتطلب علاجا من ساستنا ورجال القانون في العصر الحاضر (بدوي، 1985).

ولقد وافق James GEORGE FRAZER على هذا الرأي بعض علماء الأنثروبولوجيا وعلى رأسهم (Edward Evan EVANS-PRITCHARD)، حيث نجده يقول في كتابه الموسوم بـِ:"الأنثروبولوجيا الاجتماعية"، مايلي:هكذا ينبغي أن تعتبر الأناسة المجتمعية [أي الأنثروبولوجيا الاجتماعية] بمثابة جزء من الدراسات الاجتماعية. إنها فرع تنصب دراساته بشكل خاص على المجتمعات البدائية. وعندما نتكلم عن الاجتماعيات، فإننا نفكر قبل كل شيء بدراسة المشكلات الخاصة بالمجتمعات المتحضرة. فإذن أضفنا على هذه الكلمة هذا المعنى المخصوص، أصبح الفرق بين الأناسة المجتمعية والاجتماعيات كامنا عندئذ في اختيار حقل النشاط (إيفان إيفانز بريتشارد، 1986).

أما ألفرد (Alfred Reginald RADCLIF-BROWN)، فقد أطلق على الأنثروبولوجيا الاجتماعية علم الاجتماع المقارن (Comparative sociology)، ولم يطلقBROWN هذه التسمية على الأنثروبولوجيا جزافا، وإنما يعود ذلك لطبيعة الدراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، حيث تهتم بدراسة البناء الاجتماعي والتنظيمات الاجتماعية، علاوة على اهتمامها بدراسة العادات (الفوال، 1982).

ولاشك أن هذه القناعة هي التي دفعت رواد الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية في القرن العشرين مثل (Bronislaw KasparMALINOWSKI) و(Alfred Reginald RADCLIF-BROWN) إلى الاعتماد في دراساتهم على أحد أهم الاتجاهات النظرية السائدة في علم الاجتماع، ألا وهو الاتجاه الوظيفي (Functionalism)، الذي يقوم على الدراسة الآنية (Synchronic study)، ويحاول الكشف عن العلاقات القائمة بين الأجزاء المكونة للظاهرة وعلاقاتها بغيرها من الظواهر الأخرى؛ طبقا للقواعد المنهجية التي أرساها عالم الاجتماع البريطاني هربرت سبنسر (Herbert SPENCER)، وعالم الاجتماع الفرنسي (Émile DURKHEIM)، بعدما كان معظم علماء الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر يفسرون نتائج أبحاثهم في ضوء إتجاهين تاريخيين هما: الاتجاه التطوري (Evolutionism) والاتجاه الانتشاري (Diffisionism).

وهذا ما دعا كل من (Thomas HYLLAND ERIKSEN) (Finn SIVERT NIELSEN) إلى القول في كتابهما حول تاريخ الأنثروبولوجيا: أن من بين جميع علماء الاجتماع كان دوركايم هو الأكثر أهمية للأنثروبولوجيا، نظرا لأنه نفسه كان معنيا بالعديد

من القضايا الأنثروبولوجية من ناحية ومن ناحية أخرى نظرا لتأثيره الفوري والمباشر على الأنثروبولوجيا البريطانية والفرنسية (هيلاند إريكسن ونيلسن ، 2014).

كما اهتمت الأنثروبولوجيا بدراسة مواضيع بعينها، ولقد عدد إيفانس برتشارد على سبيل المثال عناوين بعض الأطروحات التي أنجزها طلاب جامعة أكسفورد البريطانية، على النحو الآتي: "وضع الرئيس في السستام [النظام أو النسق] السياسي الراهن لدى الأشنتي" (إفريقيا الغربية)، "دراسة حول تأثير المتغيرات المجتمعية المعاصرة على مؤسسات الأشنتي"، "وظيفة الدين المجتمعية في جماعة من جماعات الهند الجنوبية" (الكورغز)، "البنية المجتمعية في جامايكا بناء على التمييزات العنصرية"، "دور المهر في بعض المجتمعات الإفريقية"، "دراسة مقارنة بين مختلف أشكال الرق"–"التنظيم المجتمعي عند الياو في نياسالاند الجنوبية" (إفريقا الوسطى)، "النظام العقاري عند البانتو في إفريقيا الشرقية"، "وضع النساء عند البانتو الجنوبيين" (إفريقيا الجنوبية)، "جردة [إحصاء مفصل] بالعقوبات المجتمعية عند قبائل الناغا على الحدود الهندية–البرمانية"، "التنظيم السياسي عند البريريز" (أمريكا الشمالية)، "دراسة الخلافات الحدودية عند الأشنتي" (إفريقيا الغربية)، "معنى المرتبة المجتمعية في ميلانيزيا"، "التنظيم المجتمعي عند إسكيمو الوسط والشرق"، "الجنحة والحق العرفي" أندونيسيا وإفريقيا" (بريتشارد، 1986). ولا شك أن المتأمل في هذه المواضيع سوف يدرك أنها لا تدخل ضمن دائرة اهتمام علماء الاجتماع.

وما تجدر الإشارة إليه هنا، أن الفرق بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا كان قبل القرن العشرين لا يقتصر على اختلاف مجال البحث لكل منهما، وكذا اختلاف طبيعة الموضوعات التي يبحث فيها كل علم، بل يتعدى ذلك إلى منهج الدراسة، لأن عالم الاجتماع كان يعتمد على الأساليب الإحصائية في معالجة المعطيات المتحصل عليها من خلال دراسته الميدانية، وقد يكتفي أحيانا في دراسته بالاعتماد على الوثائق الحكومية والبيانات الجاهزة، كما يهتم بدراسة مختلف المشكلات الاجتماعية كالانتحار، والعنف والجريمة، وتفكك الأسرة...إلخ، ويحاول البحث عن العوامل التي أدت إلى ظهورها، ومدى انتشارها، وأساليب مكافحتها، متجاوزا بذلك دراسة النظم الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية والتغير الاجتماعي.

أما تقاليد البحث الأنثروبولوجي فكانت تقوم أساسا على ضرورة أن يتعلم الباحث لغة المجتمع أو القبيلة التي يدرسها حتى يتمكن من المشاركة في حياتها الاجتماعية وملاحظة وتسجيل المعلومات والبيانات عنها وثانيا، أن يقضي عاما كاملا على الأقل في هذا المجتمع حتى يلم ويعايش الدورة المتكاملة لاسيما الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وثالثا أن يستند أساسا على التحليل الكيفي للمعلومات التي يجمعها من خلال ما يعرف بالملاحظة بالمشاركة أو المعايشة والمشاركة في النشاط الاجتماعي (Participantobservation) والاعتماد على معلومات يقدمها الإخباريون (Informants) وهم السكان المحليين الذين لديهم معرفة واسعة بمجتمعاتهم كمشايخ ورؤساء القبائل أو كبار السن أو غير ذلك (عودة، د.ت).

وننوه بالقول هنا، أن مالينوفسكي، يعد أول علماء الأنثروبولوجيا الذين قاموا بتطبيق هذه الإجراءات على أرض الواقع، بل كان أول من وضع أسس الدراسة الأنثروبولوجية الميدانية، وشرح شروطها بصورة أكاديمية، في كتابه حول "بحارة غرب المحيط الهادي" (Argonauts of Western Pacific)، الذي صدر في عام 1922.

مظاهر التقارب والتعاون بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا

على الرغم من اهتمامه بالمجتمعات الصناعية الحديثة، إلا أن علم الاجتماع اتجه إلى دراسة المجتمعات الريفية والبدوية فتوطدت علاقته بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، كما استخدم علم الاجتماع المناهج الكيفية (النوعية) وطرقها وأدواتها في بحوثه مثل الملاحظة، والمقابلة وتحليل المضمون ودراسة الوثائق، بعدما وجهت إلى المناهج الكمية الإحصائية انتقادات شديدة من طرف المدرسة النقدية والمدرسة التفسيرية بداية من الربع الأخير من القرن العشرين.

وإذا كانت أبحاث الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر قد اقتصرت على دراسة المجتمعات البدائية، كالهنود الحمر في القارة الأمريكية، وسكان أستراليا الأصليين، وقبائل المحيط الهادي، وشعوب إفريقيا السوداء، فإنها في القرن العشرين اتجهت نحو دراسة المجتمعات المتحضرة، ولاسيما عالمها القروي، ومن أمثلة هذه الدراسات، نجد دراسات عالم

الأنثروبولوجيا الأمريكي روبرت ريدفيلد (Robert REDFIELD) التي أنجزها حول مجموعة من القرى التقليدية في المكسيك.

كما ظهرت بعض الدراسات المتخصصة بتحديد السمات الثقافية للمجتمعات المتقدمة مثل المجتمع الأمريكي والروسي والصيني والياباني...إلخ، وظهرت بعض الدراسات التي تعنى ببحث عملية الثقاقف (Acculturation) بين الشعوب التي تتلاقى في حالات الهجرة أو المبادلات التجارية أو الاستعمار وتعنى أيضا بكثير من مشكلات ضمن المجتمع الصناعي الحديث.

من جانب آخر، نَلْحَظ انفتاح الأنثروبولوجيا على طرق وأدوات البحث المنتشرة في علم الاجتماع وعلم النفس مثل إستمارات البحث، والاختبارات النفسية، والاعتماد على الإحصاء، ولقد عَبَّرَ عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي (Marc AUGÉ) عن عدم وضوح الحدود الفاصلة بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا جَرّاء تداخلهما بقوله: في الوقت الذي نشهد فيه توسعًا بل انفجارا في الاختصاصات نجد تشوشًا في حدود الأنثروبولوجيا الخارجية، لا سيما مع علم الاجتماع، فالأنثروبولوجيا قد انجرت إلى استخدام الطرق الكمية الخاصة بعلم الاجتماع، وعالم الاجتماع صار يلجأ باستمرار إلى الطرق الكيفية العزيزة على زملائه الأنثروبولوجيين، فالواحد منهم كما الآخر صار شديد الاهتمام بفهم التصور الذي يكونه الفاعلون عن العالم الاجتماعي (أوجيه وكولاين، 2008).

وبالإضافة إلى ذلك، أصبح نزول علماء الأنثروبولوجيا في القرن العشرين إلى الميدان لا يأتي عادة من أجل دراسة المجتمع بصورة شمولية، وإنما من أجل معالجة إشكالية محددة بدقة، فنجد مثلا (Margaret MEAD) عندما قامت بدراستها في جزر ساموا (Samoa Islands) التي تقع في المحيط الهادي حاولت الإجابة عن السؤال الآتي: هل الاضطرابات النفسية التي يعيشها المراهقون في المجتمع الأمريكي ناتجة عن عوامل عضوية أم هي ناتجة عن عوامل ثقافية واجتماعية؟ ولقد خلصت عالمة الأنثروبولوجيا الأمريكية بعد دراستها التي شملت ثماني وستون (68) فتاة من تلك الجزر، بين سن التاسعة وسن العشرين، إلى عدم وجود أزمة مراهقة في مجتمع ساموا، لأن هذا الأخير يشجع الاختلاط بين الجنسين في سن مبكرة، عكس المجتمعات الغربية، وعليه نفت أن تكون اضطرابات المراهقة ناتجة عن عوامل عضوية.

كما أصبح التعاون والتنسيق بين علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا ضروريا لدراسة بعض المواضيع مثل نظام الأسرة، ففي المجتمع الصناعي إذا اهتم عالم الاجتماع الأسري بتأثير الصناعة على الأسرة، فإن عالم الأنثروبولوجيا بمنهجه المتميز يمكن أن يركز على فكرة محدودة مثل تغير أدوار الزوجين، أو نوعية المشكلات الأسرية في مجتمع محلي تأثر بالصناعة. وبالتالي فإن مجموع الدراسات التي يجريها الأنثروبولوجيون على نطاق الجماعات المحلية يمكن أن تكون ذات أهمية في توضيح جذور المشكلات والمسائل المتعلقة بموضوعات يهتم بها عالم الاجتماع (المكاوي، 2012).

ولقد أشار كل من محمد الجوهري وعلياء شكري إلى أن بعض العلماء يرى أن التمييز بين العلمين ليس له معنى في المجتمعات التى لا يمكن تصنيفها ضمن المجتمعات المتقدمة الصناعية، أو ضمن المجتمعات البدائية، وأوردا رأي (tom bottomore) في هذا الصدد حينما قال: يجب أن نشير إلى أنه يوجد في المجتمعات المعاصرة فئة ثالثة بالغة الأهمية تمثلها المجتمعات التي لا تعد بدائية ولا هي متقدمة صناعيا. وفي هذه المجتمعات (...) تفتقد التفرقة بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية معناها إلى حد كبير. فالبحوث السوسيولوجية في الهند مثلا، سواء اهتمت بنظام الطائفة، أو المجتمعات المحلية الريفية، أو بعملية التصنيع ونتائجها عادة ما يقوم بها علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا معا (الجوهري وشكري، 2007).

ونستطيع القول أن صفة "عالم أنثروبولوجيا" أو "عالم اجتماع" لم يعد لها معنى، بالنظر إلى أعمال بعض العلماء الذين درسوا التغير الاجتماعي الناتج عن انخراط المجتمعات التي حصلت على استقلالها –بعد فترة من الاستعمار–في عملية التحديث، من أمثال الفرنسي (George BALANDIER) الذي تخصص في دراسة التغيرات التي حدثت في دول غربي إفريقيا، ورَاوَحَ في أعماله بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا.

هذا على مستوى الطرح العام، أما في الجزائر فقد دعا بعض الباحثين إلى ضرورة التعاون والتنسيق بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا في إطار اتجاه جديد سُمِّيَ بعلم الاجتماع الأنثروبولوجي أو السوسيو–أنثروبولوجي (Socio–Anthropology)، ولعل أبرز ممثليه، فوزي عادل، الذي أكد بمناسبة تقديمه لإحدى الأيام الدراسية، التي حملت شعار: (La socio–anthropologie ou comment repenser la méthode?) أي

السوسيو–أنثروبولوجي أو كيف نعيد التفكير في المنهج؟أن علم الاجتماع الأنثروبولوجي لا يشكل علمًا جديدًا قائما بذاته بل يمثل بكل بساطة طريقة حديثة في طرح المشكلات تأخذ في الاعتبار المكتسبات المحققة في ميادين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والتاريخ. كما تأخذ في الحسبان التداخل الموجود بين هذه العلوم في بناء كل موضوع بحث يتموقع ضمن حقل العلوم الاجتماعية.

كما أكد ذات الباحث، في مَوْضِعٍ آخر، أن علم الاجتماع الأنثروبولوجي مدين لعلم اجتماع الفهم الذي طوره Max WEBER، لأنه يستلهم نفس المبدأ القائم على الفهم من الداخل والانغماس في العالم الاجتماعي حيث يسمح الفهم من الداخل برؤية الكيفية التي ينبني بها واقع "موضوعي" انطلاقا من نشاط محدد للأفراد. ويتعلق الأمر من هذا المنطلق بتسليط الضوء على العلاقات الموجودة بين الأشياء، بدلا من فتح المجال لرؤية جوهرية Substantialiste(عادل، 2001).

ومن أهم ممثلي الاتجاه السوسيو–أنثروبولوجي في الجزائر نجد أيضا ClaudineCHAULET التي ترى أن الرسالة الحالية للأنثروبولوجيا في المجتمع الجزائري لا تكمن في البحث في السمات الثقافية (...) وإنما في فهم نظام الرموز المادية والثقافية الذي يحاول الجزائريون اليوم في ظله تشكيل حياتهم بإيجاد معنى له. وسواء سمي هذا البحث أنثروبولوجيًا أو سوسيولوجيًا فذلك لا يكتسي في النهاية أهمية كبيرة (شولي، 2005).

ولقد نادت ClaudineCHAULET علماء الاجتماع إلى الخروج من دائرة الاختصاص الضيق، والانفتاح على التخصصات الأخرى المجاورة، لاسيما الأنثروبولوجيا، هذه الأخيرة التي أصبحت تتمتع بمكانة هامة ضمن منظومة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عندما أعيد قراءة تراثها الكولونيالي ومراجعته مراجعة نقدية من ناحية وعندما تَمَّ تجاوز الحكم المسبق الذي أثير بشأنها خلال السنوات الأولى من الاستقلال والذي مفاده أن "الأنثروبولوجيا علم استعماري"، من ناحية أخرى.

-**خاتمة:** لقد بَيَّن التحليل العلاقة التي ربطت علم الاجتماع بالأنثروبولوجيا منذ نشأتهما، وكيف تدرجت هذه العلاقة من مرحلة التمايز في مجال الدراسة ومواضيعها والمناهج والطرق المستخدمة في القرن التاسع عشر إلى مرحلة التعاون والتداخل بل الانصهار في القرن العشرين، بحيث اهتم علم الاجتماع في أول ظهوره بالمجتمعات الأوروبية الصناعية، بينما اهتمت الأنثروبولوجيا في بداية ظهورها بالمجتمعات البدائية في القارة الأمريكية وأستراليا وجزر المحيط الهادي وإفريقيا، كما ارتكز علم الاجتماع بصورة واضحة على الأساليب الإحصائية، والوثائق الحكومية والبيانات الجاهزة، بينما اعتمدت الأنثروبولوجيا في جمع المادة العلمية على المعايشة الميدانية والملاحظة من خلال المشاركة في مختلف الأنشطة الحياتية داخل المجتمع المدروس واعتمدت أيضا على المعلومات التي يقدمها الإخباريون.

ولقد حصل نوع من التقارب بين العلمين كنتيجة لمراجعة علم الاجتماع لمجاله وموضوعاته، ومناهجه، وكنتيجة أيضا لإعادة النظر في مجال الأنثروبولوجيا وموضوعاتها ومناهجها، بحيث أصبح علم الاجتماع يهتم بدراسة المجتمعات التقليدية الريفية والبدوية، وصار يعتمد على المناهج والأدوات الكيفية المستخدمة عادة في الأنثروبولوجيا وفي مقابل ذلك أصبحت الأنثروبولوجيا تهتم بدارسة المجتمعات الصناعية المتطورة وتستخدم المناهج والأدوات الكمية الشائعة في علم الاجتماع. ولقد تولد عن تقارب علم الاجتماع والأنثروبولوجيا اتجاه جديد يدعى السوسيو-أنثروبولوجي، حاول دمج المقاربتين (السوسيولوجية والأنثروبولوجية) في إطار مدِّ جسور التساند والتكامل بين مختلف فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وتجدر الإشارة في الأخير، إلى أنه رغم التقارب والتداخل الذي حدث بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا بداية من القرن العشرين، فإن تمايزهما سيظل قائما، ما دام أن غايات وأهداف كلا العلمين تختلف، فإذا كان علم الاجتماع يسعى أساسا إلى الكشف عن القوانين التي تخضع لها مختلف الظواهر الاجتماعية، فإن الأنثروبولوجيا العامة تسعى من جهة إلى التعرف على طبيعة الثقافة الإنسانية وعوامل تغيرها، وتحديد أوجه الاختلاف والتشابه بين ثقافات الشعوب عن طريق الدراسة المقارنة- التي تعد إحدى الدعائم المنهجية الأساسية في البحث الأنثروبولوجي- وتسعى إلى كشف الصفات الفيزيقية والبيولوجية التي تميز الجنس

البشري عن الكائنات الحية الأخرى، وكذلك تلك الصفات التي تميز مختلف السلالات البشرية وتفرعاتها من جهة أخرى.

- قائمة المراجع:

-الجوهري، محمد وشكري، علياء. (2007).مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا.القاهرة، د.ن.

-السويدي، محمد. (1991). مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته.الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

-الفوال، صلاح مصطفى. (1982).علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية: علاقات، ومجالات، وميادين، القاهرة: عالم الكتب.

-المكاوي، علي محمد. (2012).الأنثروبولوجيا وقضايا الإنسان المعاصر: مدخل اجتماعي وثقافي.القاهرة: مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح.

-أوجيه، مارك وكولاين، جان بول. (2008).الأنثروبولووجيا.تر: جورج بطرس كتورة. سلسلة نصوص.بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.

-إيفانز بريتشارد، إيفان. (1986).الأناسة المجتمعية ديانة البدائيين في نظريات الأناسين.تر: حسن قبيسي.بيروت،دار الحداثة.

-بدوي، محمد. (1985).مدخل إلى علم الاجتماع.الاسكندرية،دار المعرفة الجامعية.

-شاكر، مصطفى سليم. (1981).قاموس الأنثروبولوجيا (عربي-إنكليزي)، الكويت: جامعة الكويت.

-شولي، كلودين. (2005). أنثروبولوجيا و/أو سوسيولوجيا؟ اِلتفاتة إلى الخلف لدراسة ممارساتنا في هذين الحقلين.تر: مجاهدي، مصطفى.إنسانيات،عدد 27، 5-9.

-عادل، فوزي. (2001). علم الاجتماع الأنثروبولوجي أو كيف نعيد تفكير المنهج؟ كراسات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. رقم 01.وهران: مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.

-عودة، محمود. (د.ت).أسس علم الاجتماع.بيروت: دار النهضة العربية.

-محمد أنور حامد، هندومة. (2011).الأنثروبولوجيا الفيزيقية.الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

-ميتشيل، دينكن. (1986).معجم علم الاجتماع. ط2. تر: إحسان محمد الحسن.بيروت: دار الطليعة.

-هيلاند إريكسن، توماس وسيفرت نيلسن، فين. (2014).تاريخ الأنثروبولوجيا.تر: عبده الريس. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

-وصفي، عاطف. (1971).الأنثروبولوجيا الثقافية (مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديربون الإمريكية).بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.